ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: يهدف هذا البحث إلى الكشف عن فنون البلاغة في البنية التركيبية في سورة الملك من خلال واحدٍ من أهم مصطلحات اللغة الأدبية ألا وهو (العدول) الذي نال حظًّا من الاهتمام في الدراسات البلاغية والأسلوبية الحديثة سواءً في لفظ العدول أم في مرادفاته، مثل الانزياح والانحراف وغيرها.

ولم يكن هذا المصطلح غائبًا في تراثنا النقدي والبلاغي، بل تهادته مراجع اللغة والنقد والبلاغة مصطلحًا فنيًّا يتوقف عليه إبراز الجوانب الجمالية والفنية.

وكان مجال التطبيق لإبراز جماليات مصطلح العدول هو سورة الملك في بنيتها التركيبية(علم المعاني).

وسبب اختيار هذه السورة هو أن أيَّةَ سورةٍ في القرآن الكريم أو جزءًا منها يُعَدُّ مجالاً للدراسة ما لم يكن قد سبق دراسته. ومازال القرآن الكريم يمد الباحثين بدرره وسيظل أبدًا نبعًا ثرًّا لا ينقطع مجراه.

ومما شدني إلى دراستها بروز بعض الظواهر البلاغية والأسلوبية فيها مثل أساليب الاستفهام والالتفات والإظهار في موضع الإضمار وغيرها.

وعلى ذلك فقد جاء هذا البحث في تمهيدٍ وستة مباحث:

التمهيد: ويتحدث عن معنى العدول في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: ويتناول مفهوم العدول عند القدماء والمعاصرين، ويتفرع إلى مطلبين:

أ ـ مفهوم العدول عند القدماء.

ب . مفهوم العدول عند المعاصرين.

المبحث الثاني: ظواهر العدول في التقديم والتأخير.

المبحث الثالث: العدول في الأساليب الخبرية والإنشائية.

المبحث الرابع: العدول في ظاهرة الالتفات.

المبحث الخامس: العدول في إيجاز الحذف.

المبحث السادس: العدول في أسلوب القصر.

وينطلق هذا البحث من منظور البلاغة العربية الحديثة التي لا تنحصر في معيارية القدماء، ولا تنفتح إلى حد القطيعة مع البلاغة العربية التقليدية.

واستقر البحث على أن(العدول) بما له من قيمٍ جماليَّةٍ مَعْنِيٌّ بالبيان العربي في لفتاته البيانية والأسلوبية، وهو ما امتاز به الأسلوب القرآني في سورة الملك من عدول وانزياحات في أساليبها المتنوعة ومفاجآت أدهشت المخاطبين على مختلف مشاربهم.

تمهيد

معنى العدول في اللغة والاصطلاح:

تقود محاولة تتبع مضامين كلمة العدول إلى استنتاج مفاده أن المادة اللغوية(ع،د،ل) من معانيها(عدل عن الشيء يعدل عَدْلًا وعُدُوْلًا: حاد عن الطريق؛ جار، وعَدَلَ إليه عُدُولاً: رجع، وما له مَعْدَل ولا مَعْدُول، أي: مصرف...)(١)

ففعله يُعَدَّى بحرفي(عن، وإلى)، وله مع كل منهما خصوص ودلالة، فإذا عُدِّيَ بـ(عن) كان بمعنى الحيد والميل، وإذا عُدِّيَ بـ(إلى) كان بمعنى الرجوع أو التوجه إلى الأمر. ومصطلح العدول في البلاغة يناسبه كلا المعنيين؛ لأنه من الرجوع بالكلام عن صيغة، والاتجاه به إلى صيغةٍ أخرى(٢).

فالمعنى المعجمي لكلمة العدول يشير إلى دلالة الميل والانتقال من حالة إلى حالة أخرى، وهذا الميل له أثره الفني والجمالي، وعلى هذا فالعدول ظاهرة بين طرفين: معدول عنه، ومعدول إليه. وفكرة العدول تعني ترك المعدول عنه، والانتقال إلى المعدول إليه. ومن هنا يفهم أن العدول في اللغة إجراءٌ يلحق الصياغة لأغراضٍ فنية.

والعدول في نظر النحاة واللغويين هو المقابل لمصطلح أصل الوضع، أو أصل القاعدة، أو المطابقة.

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة "عدل".

(٢) ينظر: مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال ومواقعها في القرآن الكريم / ظافر العمري رسالة دكتوراه مخطوطة: ص٩.

أما من حيث الاصطلاح فيقول تمام حسان: « الأسلوب العدولي خُروجٌ عن أصلٍ أو مخالفة قاعدة »[١].

وظهر لهذا المصطلح مترادفات كثيرة عند علماء الأسلوب من الغربيين والباحثين العرب مثل الانزياح، والانحراف، والخرق، والانتهاك ...الخ. وبلغت . فيما أشار إليها بعض الباحثين . أكثر من أربعين مصطلحا.[٢]

ويرى د. أحمد ويس أن الانزياح (العدول): « استعمال المبدع للغة . مفردات وتراكيب وصورا . استعمالا يخرج بها عما هو معتاد ومألوف، بحيث يؤدي ما ينبغي أن يتصف به من تفرد وإبداع، وقوة جذب وأسر»[٣].

ولا أرى مانعاً من استعمال مصطلح (الانزياح)، غير أن اختياري استقر على مصطلح العدول دون غيره من المترادفات؛ لأن (العدول) مصطلحٌ عربيٌّ صميم، وألصق بالتراث البلاغي والنقدي العربي.

ولقد دارت مباحث علم المعاني في كثير من جوانبها حول العدول عن النمط المألوف على حسب مفهوم أصحاب اللغة وتقاليدهم في صناعة الكلام، وهذا العدول يمثل الطاقات الإيحائية في الأسلوب[٤].

---

(١) البيان في روائع القرآن/ تمام حسان: ص٢/٧٧

(٢) ينظر: الأسلوبية والأسلوب :١٠٠- ١٠١، بلاغة الخطاب وعلم النص/ صلاح فضل: ص٦٤، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية/أحمد ويس: ص٨، وينظر ص٢٩. ٦٩.

(٣) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ص٧.

(٤) البلاغة والأسلوبية:١٩٨

والبنية التركيبية: نعني بها علم المعاني الذي له بعد آخر لا يقف عند مجرد الإفادة، بل يتعداه إلى تحقيق التأثير بإمكانات جمالية مفيدة تختص بمستوى الإبداع؛ الأمر الذي لا يتأتى إلا بالتغيير في الصياغة والتركيب، بترك المسند إليه أو ذكره، وبتعريفه أو تنكيره، وبتقييده أو إطلاقه، وبتقديمه أو تأخيره(١)، ففي مثل هذه الصياغة تأتي الإفادة اللطيفة التي تتحقق عن طريق قيم أسلوبية أساسية تمدنا بإجراءات إحداث التأثير في الخطاب، بعدد غير قليل من فنيات العدول عن الأساليب النمطية(٢).

وتركتُ بعض مباحث علم المعاني مثل: الفصل والوصل . على الرغم من أهمية هذا المبحث في الدرس البلاغي . من حيث إن هذه العملية تتم بالخروج عن الأصل اللغوي، والقاعدة النحوية في داخل الجملة، وما يتم في هذا المبحث هو عملية تبادلية: بين الفصل والوصل، بحسب ما يقتضيه السياق، فلا ينسجم مع ما يعالجه مفهوم العدول الذي يخالف أصل الوضع اللغوي، الذي نجده بارزاً في الموضوعات التي تناولها البحث.

****

(١) مفتاح العلوم: تح هنداوي:٢٤٨

(٢) ينظر: ظاهرة العدول في البلاغة العربية مقاربة أسلوبية، عبد الحفيظ مراح، رسالة ماجستير مخطوطة/٤٠.

المبحث الأول: مفهوم العدول عند القدماء والمعاصرين

ويمكن أن يتفرع هذا المبحث إلى مطلبين:

أ . مفهوم العدول عند القدماء:

لقد التفتت بلاغتنا العربية مبكراً إلى أسس الجمال في صناعة الخطاب عبر مظاهر العدول وتجاوز المستوى الأول للغة.

وتعود جذور مصطلح العدول إلى كتب التراث العربي اللغوي والنقدي والبلاغي المبكرة، وكان يرد هذا المصطلح تارة بلفظه، وتارة أخرى بمشتقاته، أو بمرادفاته.

وتدور دلالة العدول في المعجم العربي حول الخروج عن النص المألوف ليخرق التقاليد المتعارف عليها بين مستعملي اللغة؛ كونها تمثل الطاقات الإيحائية في الأسلوب.

فيورد ابن جني(ت ٣٩٢هـ) مصطلح العدول مرتبطاً بمصطلح آخر هو «الاتساع»، وذلك في إطار حديثه عن الحقيقة والمجاز فيقول: « وإنما يقع المجاز ويُعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة، وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة»[(١)]، ويمثل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ يوسف:٨٢، ويرى أن في هذا القول المعاني الثلاثة: الاتساع والتوكيد والتشبيه[(٢)].

ويستعمل ابن جني مصطلح **شجاعة العربية** بمعنى أساليبها المتسمة بالجرأة والخروج على المقررات اللغوية المثالية، ويدل هذا المصطلح الذي أطلقه ابن جني على وعي القدماء بظاهرة الخروج عن الاستعمال العادي على أنها ملمح من الملامح التي تحتاج إلى

---

(٩) الخصائص: ج٢/٤٤٢.

(٢) ينظر المصدر السابق: ج٢/٤٤٢

جرأة وشجاعة لدى المبدع ليطوع اللغة في التعبير، ويوسع إمكانياتها لتخدم غرضه، يقول ابن جني: « ومن المجاز كثير من باب الشجاعة في اللغة: من الحذوف والزيادات والتأخير والحمل على المعنى والتحريف»(١).

ويأتي أبو هلال العسكري(ت ٤٠٠هـ) فيستعمل هذا المصطلح استعمالاً صريحًا في مدلوله المعاصر في قوله: « وعندنا أن **الرحيم** مبالغة لعدوله، وإن **الرحمن** أشد مبالغة، لأنه أشد عدولاً، إذا كان العدول على المبالغة، كلما كان أشدَّ عُدولاً كان أشدَّ مبالغة»(٢).

ويتناوله بلفظه . أيضا . عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧٤هـ) في سياق قوله: «عليك أن توفق بين معاني تلك الألفاظ المسجعة وبين معاني الفصول التي جعلت أردافا لها، فلم تستطع ذلك إلا بعد أن عدلت عن أسلوب إلى أسلوب، أو دخلت في ضرب من المجاز، أو أخذت في نوع من الاتساع، وبعد أن تلطفت على الجملة ضربا من التلطف»(٣).

ويقول في أسرار البلاغة: «وغرضي بهذا أن أعلمك أن من عدل عن الطريقة في الخفي أفضى به الأمر إلى أن ينكر الجلي »(٤). ويقول أيضا: « وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز، على أنهم جازوا به موضعه الأصلي... »(٥).

---

(١) المصدر السابق: ج٢/٤٤٦، وينظر: نظرية اللغة في النقد العربي: عبد الحكيم راضي/٢٥٨

(٢) الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري:٢٢١

(٣) دلائل الإعجاز: تح محمود شاكر، ص٦٢

(٤) أسرار البلاغة، تح محمود شاكر، ص٣٦٣

(٥) المصدر السابق: ٣٩٥.

وقد نبه الجرجاني على أهمية « الاتساع»، وجعله سبيلا إلى الإبداع واختراع الصور والمعاني. وهناك مصطلحات أخرى استخدمها الجرجاني في وصف تلك الخروقات منها: مصطلح « الغرابة» و« النظم» وغيرها من المصطلحات التي ترددت عنده في وصف أساليب العدول(١).

ويربط الزمخشري (تـ ٥٣٨هـ) مفهوم الأسلوب بالعدول في بنية الكلام بما يسميه بالالتفات فيقول: «فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان»(٢). ويعلل استخدام ذلك الأسلوب فيما يحدثه من أثر في جذب انتباه المتلقي ومفاجأته فيقول: « وذلك على عادة افتنانهم بالكلام وتصرفهم فيها، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسنَ تطريةً لنشاط السامع وإيقاظاً إلى الإصغاء إليه من إجرائه على أسلوبٍ واحد »(٣).

ويتبعه العلوي اليمني في ذلك(تـ ٧٤٩ هـ) في معرض حديثه عن الالتفات حين عرفه بقوله: « هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول»(٤). فشمل بهذا التعريف كل عدول أسلوبي في السياق اللغوي.

---

(١) ينظر أسرار البلاغة تح هـ. ريتر ص٣٥٠، ٣٥١، وتنظر الصفحات:٧٨،٧٥،٦٣،٦٠،٥٩، ٣١٣،١٢٦. ودلائل الإعجاز تصحيح محمد رضا، ص:٦٠ ،١٥٨،١٤٤، ٢٠٢.

(٢) الكشاف، ص١/١٣.

(٣) المصدر السابق: ١/١٤.

(٤) الطراز: ٢/١٣٢.

ومفهوم الالتفات الذي أوضحه الزمخشري والعلوي وغيرهما ممن توسعوا في تجاوز حصره في الضمائر؛ يقابل ما ذهب إليه « ريفاتير» في مفهوم العدول السياقي، أو كسر السياق الأسلوبي بواسطة انتقال الخطاب من أسلوب إلى أسلوب مغاير، لما لهذا الأسلوب من لفت انتباه المتلقي، وهو ينتقل من أسلوب إلى آخر؛ لأن الخطاب إذا ظل على وتيرة واحدة يحدث الملل(١).

أما أبو يعقوب السكاكي(ت ٦٢٦ هـ) فقد كشف عن مظاهر العدول أو الأساليب التي تخرج باللغة عن الاستعمال العادي، وعدد منها: المظهر موضع الضمير، ووضع المضمر موضع المظهر، والالتفات، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، أو الماضي بلفظ المضارع، والمشاكلة وغيرها من ظواهر العدول(٢). وبعد فراغه من فصل التقديم والتأخير يقول: «وقد عرفت فيما سبق أن إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر طريق البلغاء...»(٣) ويقف عند الأسلوب الحكيم فيراه من أرقى أساليب البلاغة التي تخرج عن مقتضى الظاهر، ومن أفانين سحرها؛ إذ بهذا الأسلوب يتلقى المخاطب بغير ما يترقب(٤)، وهو ما ذهب إليه جاكوبسون فيما يحدثه الأسلوب من مفاجأة المخاطب بغير ما يتوقع(٥).

---

(١) ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية/ حسن طبل:٤٧، الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم/ عبد الله الهتاري:١٥، ١٩.

(٢) ينظر مفتاح العلوم، السكاكي/ تح هنداوي:٢٩٤ . ٣٠٤ ، وص٣٤٦ . ٣٥٦.وص٥٣٣

(٣) المصدر السابق: ٣٤٦

(٤) المصدر السابق:٤٣٥.

(٥) ينظر قضايا الشعرية/ جاكوبسون:٣٠

ونصل إلى ابن الأثير:(ت ٦٣٦هـ) الذي يؤكد الوظيفة الجمالية للعدول الصيغي بقوله: « واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارها، وفتش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهما، وأغمضها طريقاً»[(١)].

وتكرر ذكر العدول عند ابن الأثير في أكثر من موضع[(٢)]، وهو أبرز من تحدث عن ظاهرة الالتفات، واستوعب صورها بجميع أقسامه[(٣)]، ومعلوم لدى الباحثين أن الالتفات من أبرز مظاهر العدول، ونستطيع القول: إن كل التفات يعد عدولا.

ولعل من أقدم الإشارات التي استخدمت لتدل على التجاوز والخروج عما هو مألوف في استخدام اللغة مصطلح «المخالفة» الذي يرد عند ابن قتيبة(ت ٢٨٦هـ) وقد تناوله في: «باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه » وتحت هذا العنوان تحدث عن كثير من الأساليب التي تخرج باللغة عن المألوف كالمعاني السياقية لبعض الأساليب الإنشائية مثل: الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان «المشاكلة»، ومجيء الكلام على مذهب الاستفهام أو على لفظ الأمر فينتقل إلى معان أخرى، والعام يراد به الخاص، والجمع يراد به المفرد والمثنى، والمفرد يراد به الجمع .. ومخاطبة الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على

---

(١) المثل السائر: ابن الأثير: ٢/١٨٠.

(٢) ينظر المصدر السابق:١/٥٠، ٢٩٧، ٢/٤٩، ٧٢، ٧٨، ٢٣٢، ٢٣٣ ...إلخ

(٣) ينظر المصدر السابق:٢/١٦٧ . ١٨٦.

لفظ الغائب «الالتفات في الضمير»، ومجيء المفعول به على لفظ الفاعل، ومجيء الفاعل على لفظ المفعول به، وغيرها من الأساليب التي أوردها تحت العنوان السابق(١).

والمخالفة مصطلح أطلقه **تيري** حديثا على الانزياح(٢).

ما تقدم يُجَلِّي لنا عمق ما وصل إليه الباحثون القدماء في استكناه خصوصية مصطلح العدول بالانتقال من معنى إلى معنى، وعلى هذا فالعدول معني بالبيان العربي في لفتاته البلاغية، وهو معني أيضاً بدلالة الألفاظ في صيغ الاستعمال.

ب . مفهوم العدول عند المعاصرين:

لقد أولت الدراسات الحديثة مصطلح العدول وإبراز جماليات هذه الظاهرة عناية كبيرة ولاسيما الدراسات الأسلوبية منها لما لمسوه من خواص أسلوبية في ظاهرة العدول، وأنه من أهم مميزات اللغة الشعرية الفنية، وعنصر من عناصر المفاجأة التي تهز المتلقي.

فيرى ريفاتير أن **الانحراف** . وهو مرادف لمصطلح العدول . حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ(٣).

وفي مسعى الوقوف على استخدامات مصطلح العدول الفنية في الدراسات المعاصرة؛ نجد الدكتور عبد السلام المسدي من أوائل من لفت الانتباه إلى إمكان إحياء هذا المصطلح واستعماله، وإن لم يستعمله آنذاك في كتابه المعروف(٤). واسْتعمَلَ مصطلحًا

---

(١) ينظر تأويل مشكل القرآن/ ابن قتيبة: ص٢٧٥. ٢٩٨

(٢) ينظر الأسلوبية والأسلوب/ المسدي، ص١٠٠

(٣) ينظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية:١٦٢

(٤) الأسلوبية والأسلوب:١٠٦

آخر هو(الانزياح) ثم راج مصطلح(العدول)، واستعمله كثير من الباحثين العرب؛ منهم: تمام حسان وحمادي صمود، ومصطفى السعدني، ومحمد عبد المطلب، وغيرهم[١].

وفي هذا الصدد يقول د. تمام حسان: «الأسلوب العدولي خروج عن أصل أو مخالفة قاعدة»[٢] ويقول أيضا: «الأسلوب العدولي مَورِدٌ من موارد التأنق في الأسلوب، وَرَدَهُ من شاء من القدماء، ويرده من يشاء في يومنا هذا »[٣]. والدكتور تمام حسان من الرواد المكثرين من استعمال هذا المصطلح في مؤلفاته.

ويُعَدُّ(العدول): «تفننًا في الكلام وتصرفًا فيه، يكسب النص قيمة جمالية، وينبه إلى أسرار بلاغية كثيرة»[٤]. و «يقطع رتابة النص بما يضفيه من تحولات في التراكيب تثير دهشة المتلقي، وتلفت انتباهه، وذلك بكسر أفق التوقعات لدى المتلقي... »[٥]، ويمثل ظاهرة أسلوبية؛ لأنه عُدُولٌ عن المستوى العادي من اللغة إلى المستوى الفني.

وهو . عند كثير من كتاب النقد المعاصر . أحدُ أهم الخصائص التي تظهر التعبير الأدبي فتكسبه الدلالات الأدبية والمعاني البلاغية. وفي هذا يرى د. صلاح فضل: « أن أهم العناصر الخاصة بالقول الجمالي هو أنه يكسر نظام الإمكانات اللغوية الذي يهدف

---

(١) ينظر الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية:٤٦،٤٧. وينظر البلاغة والأسلوبية/محمد عبد المطلب: ١٩٨-٢١٤.

(٢) البيان في روائع القرآن/ تمام حسان: ص٢/٧٧

(٣) المصدر السابق:٢/٧٧.

(٤) تحولات البنية في البلاغة العربية/ البحيري:٣٥٦.

(٥) الإعجاز البياني ../ المطاري:٣٢.

إلى نقل المعاني العادية؛ ويهدف هذا الكسر بالذات إلى زيادة عدد الدلالات الممكنة»[١].

ومهما تعددت تعريفات العدول، أو ما يرادفه من مصطلحات فإن المفهوم العام هو الخروج عن السائد والمتعارف عليه، أو مخالفة أصل الوضع اللغوي، وهو أيضاً لا يخرج عن مصطلح مخالفة مقتضى الظاهر الذي عُرف عند البلاغيين.

والذي يعنينا في هذا المقام هو تلمس العدول في البنية التركيبية في سورة الملك، ورسم ملامح الجمال الذي ينشأ بسبب هذا الخروج أو ذاك عن الأصل اللغوي أو عن مقتضى الظاهر، وهذا ما سوف نتناوله في المباحث الآتية.

****

(١) نظرية البنائية في النقد الأدبي / صلاح فضل، ص٣٧٥. وللاستزادة يراجع: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص/ محمد العمري:٣٦. ٤٠.

المبحث الثاني: العدول في التقديم والتأخير

يتصل مبحث التقديم والتأخير بدراسة التركيب . وتغيير مواقع أجزاء الكلام داخل التركيب النحوي للجملة بما يفيد أصل المعنى، وأصل الوضع، والمستوى المثالي للغة، ثم يكون «العدول عن هذا النمط بمثابة منبهات فنية يعمد إليها المبدع ليخلق صورة فنية متميزة »[١].

فمن وجهة النظر الأسلوبية يقدم التقديم والتأخير إمكانية تشكيل أنماط من القول مختلفة تفصح عن مدى مرونة الاستعمال اللغوي بحيث تفسح مجالاً رحبًا من الخيارات والبدائل بما يوفر قيماً شعرية ما كان للخطاب أن يفيد منها لولا عدوله عن الأنماط المعيارية.[٢]

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى الغرض الفني العام الذي يفيده التقديم حين قال: «...ليس إعلامك الشيء بغتة غُفْلاً مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام »[٣].

فالتقديم والتأخير عُدولٌ عن النسق المألوف إلى نسق ذي دلالة فنية خاصة. ويكمن من وراء هذه العملية ولا سيما تقديم ما حقه التأخير لطائف بلاغية قد لا تلمس أثرها

---

(١) البلاغة والأسلوبية:٢٠١.

(٢) ينظر ظاهرة العدول في البلاغة العربية. / ٤١.

(٣) دلائل الإعجاز/ تح شاكر:١٣٢.

وفق التركيب المعياري لتراكيب اللغة فهو «باب كثير الفوائد، جم المحاسن، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لَكَ عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة...»[١].

ومما ورد من تقديم ما حقه التأخير في هذه السورة:

أ. تقديم الجار والمجرور(المسند) على(المسند إليه):

والمتدبر لسورة الملك يجد هذه الظاهرة البلاغية قد تجسدت في أربعة مواضع:

١ـ في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾، والتقديم في قوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ أفاد الاختصاص، أي الملك بيده لا بيد غيره؛ لأن كل ملك بيد غيره ناقص، ومُعَرَّضٌ للزوال.

والجملة صلة الاسم الموصول(الذي)، وقد أفاد التفخيم والتعظيم، مع الفعل(**تباركَ**) الذي دل على غاية الكمال ومنتهى التعظيم والإجلال[٢]. وما أيسر أن تتلفظ بما جاء في الآية من أن تقول:(**تبارك الذي الملك بيده**)، فتحس بشيء من الثقل في التلفظ بها. واليسر في التعبير القرآني مقصد من مقاصده، ووجه من وجوه إعجازه.

٢ـ في قوله تعالى:﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾تقدم الجار والمجرور ليفيد الاختصاص أيضًا؛ فإن المرجع بعد البعث إليه؛ لا إلى غيره عزّ وجلّ. فأنشأ لنا هذا العدول دلالة القصر، مع المحافظة على فاصلة(الراء) المتكررة في معظم آيات السورة.

٣ـ وأما قوله تعالى:﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦﴾فجاء العدول في تقديم(للذين) الواقعة خبرًا؛ للاهتمام بما سيذكر، وهو عذاب جهنم.

(١) المصدر السابق: ١٠٦

(٢) ينظر التفسير المنير: وهبة الزحيلي: ٢٩ / ٨،١٤/٢٩.

وقال الألوسي: «وللذين كفروا بربهم من غير الشياطين أو منهم ومن غيرهم على أنه تعميم بعد التخصيص لدفع إيهام اختصاص العذاب بهم... »[(١)]. وعدل عن لفظ الجلالة إلى(ربهم) إيماءً إلى أنه كان ينبغي عليهم أن لا يكفروا بمن تفرد بإيجادهم وخلقهم، وأنعم عليهم بالإحسان إليهم. فهكذا استطاع هذا التقديم للخبر أن يحدث هذا الأثر الفني، والغاية الجمالية في التعبير، وذاك ما لا نجده إذا رجعنا إلى أصل الوضع في تقديم المبتدأ(عذاب).

٤ــ وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾ جاء التقديم هنا: في جملة(لهم مغفرة) لإفادة الاهتمام[(٢)].

ب . تقديم الجار والمجرور على المسند الخبر:

وقد جاء في موضعين من السورة، الأول في قوله تعالى:﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ عطفا على قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾، جاء تقديم الجار والمجرور للاهتمام بما فيه من التعميم، ولإبطال دعوى المشركين نسبتهم الإلهية لأصنامهم، مع اعترافهم بأنها لا تقدر على خلق السموات والأرض، ولا على الإحياء والإماتة[(٣)].

---

(١) روح المعاني/ الآلوسي:٢٩/١٠

(٤٤) ينظر التحرير والتنوير/٢٩-٢٩.

(٣) المصدر السابق: ٢٩ / ١١

والثاني في قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩ ﴾ جاء تقديم(**بكل شيء**) على متعلقه(بصير) للاختصاص والحصر ردًّا على من يزعم عدم شمول علمه تعالى جل شأنه[١]. ومن أغراضه كذلك في الموضعين المحافظة على الفاصلة المتكررة.

ج . تقديم الجار والمجرور على الفعل:

نحو قوله تعالى:﴿ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾:

فتقديم المعمول(وإليه) قال أبو السعود:(لا إلى غيره)[٢] مما يدل على أن العدول هنا أفاد الاختصاص.

وفي قوله تعالى:﴿ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا ﴾**جاء** تقديم الجار والمجرور معمول(توكلنا) لإفادة الاختصاص؛ أي توكلنا عليه دون غيره.

ويأتي هنا منبه أسلوبي، وسؤال ينشأ وهو: لِم لَمْ يقدم شبه الجملة في قوله:(آمنا به) في حين قدم في الجملة الثانية:﴿ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا ﴾؟

والجواب: إنما لم يقدم معمول(**آمنا**) عليه؛ فلم يقل:(**به آمنا**)؛ بخلاف قوله﴿ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا ﴾؛ ذلك « أن الإيمان لما لم يكن منحصراً في الإيمان بالله؛ بل لا بد معه من رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وغيره، مما يتوقف صحة الإيمان عليه، بخلاف التوكل؛ فإنه لا

---

(١) ينظر روح المعاني:١٨/٢٩، ومصطلحات: الاختصاص، والتخصيص، والحصر، والقصر، كلها تحمل مدلولا واحدا.

(٢) إرشاد العقل السليم / أبو السعود:٩/٩. ونظم الدرر/ البقاعي: ج٨/٨٤.

يكون إلا على الله وحده.. قدم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره؛ لأن غيره لا يملك ضرًّا ولا نفعًا، فيتوكل عليه»[١].

وأما قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾**فقد** تقدمت شبه الجملة(به) على الفعل(تَدَّعُونَ) للاهتمام بإخطاره، ولمراعاة الفاصلة. وفي بناء الفعل للمجهول(قِيل): عُدول عن تعيين القائل؛ لأن المقصود المقُول دون القائل، وفي هذا من الإيجاز ما فيه. وقيل تقديم(به) للاختصاص والقصر؛ حتى كأنهم لا مطلوب لهم غيره[٢]. وهذا التقديم يقع في قلب المتلقي موقعاً لطيفاً، ويحدث مفاجأةً تُدهِشُه، مع تضافر عُدول الفعل(قيل) إلى البناء للمجهول؛ فَيَحدث هذا الإيجاز في القول مع الإيحاء باختزال المسافة الزمنية الممتدة بين مفارقة الحياة والبعث.

د . تقديم الجار والمجرور على المفعول به:

نحو قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ جاء تقديم(لكم) على مفعولي(جعل) للاهتمام بما قُدم، والتشويق إلى ما أُخِّر، لاسيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين؛ تبقى النفس مترقبة لوروده، فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن[٣].

ومثلها قوله تعالى:﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴿٢٣﴾ ﴾ فقدم(لكم)على المفعول به لما سبق ذكره.

---

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن/ الزركشي:٢/٤١٢. التعبير القرآني/ فاضل السامرائي:٥٠

(٢) ينظر التحرير والتنوير:٢٩/٥٠، وينظر: نظم الدرر: ج٨/٨٦.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٩/٧

والملحوظ في هذه السورة كثرة العدول في تقديم شبه الجملة(الجار والمجرور) على مختلف أوضاعه من حيث كونه مسنداً، أو من حيث كونه متعلقا بالمسند.

ويظهر مما سبق أن العدول في أسلوب التقديم والتأخير في السورة قد حقق أغراضه، وأفاد من مقاماته المختلفة، وسياقاته المتعددة دلالاتٍ بلاغيةً أسهمت في تبيان بلاغة الكلام، وكان من أهم أغراضه البارزة: الاختصاص والقصر، والاهتمام بالمتقدم؛ لما لهما من علاقة تمس أحوال النفس، وتناسب مقتضى الحال.

إن التقديم والتأخير كان ولا يزال وراء الكثير من بلاغة الأسلوب القرآني وحيويته؛ فهو طاقة أسلوبية ذات مَعِينٍ لا ينضب، وفيه تتجلى عظمة القدرة في صياغة التعبير القرآني، فهو يزيد في إيضاح المعنى، ويسهم في تحسين الكلام، ويكشف أبعاداً جماليةً وفنيةً عميقة.

المبحث الثالث: العدول في الأساليب الخبرية والإنشائية

من الصور التي يخرج فيها التعبير عن النمط المألوف الذي يطّرد عليه الاستعمال اللغوي هي الخبر والإنشاء، فأي كلام ننشئه إنما نفعل ذلك بهدف تقرير حقيقة، أو الإخبار عن قضية، أو التحدث عن أمر لم يحصل بعد.

أ. العدول في الأساليب الخبرية:

ففي قول أهل النار:﴿ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ ٩ ﴾ مؤكدًا لما دلت عليه(بلى)، وهو من تكرير الكلام عند التحسر، مع زيادة التحقق بـ(قد) وذلك التأكد هو مناط الندامة، والاعتراف بالخطأ[١]. وذكر أبو السعود أنهم: «(قالوا) اعترافًا بأنه عزَّ وَجَلَّ قد أزاح عِلَلَهُم بالكلية ﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ ٩ ﴾، وجمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير، وتحسُّرًا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم، وتمهيدًا لما وقع منهم من التفريط تندمًا واغتمامًا على ذلك»[٢].

وفي قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٩ ﴾ خبر عُدِل به إلى التهديد والوعيد؛ لكنه أُخرج مخرج الكلام المنصِف؛ أي فستعلمون من هو(منا أومنكم) في ضلال مبين. «وهو أسلوب كذلك من شأنه أن يخلخل الإصرار على الجحود؛ ويدعوهم إلى مراجعة موقفهم مخافة أن يكونوا هم الضالين، فيتعرضوا للعذاب الذي سبق ذكره في الآية:﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٨ ﴾، وفي الوقت

---

(١) التحرير والتنوير:٢٩/٢٧.

(٢) ينظر إرشاد العقل السليم: ٩ /٥

ذاته لا يَجْبَهُهُمْ بأنهم ضالون فعلا، حتى لا تأخذهم العزة بالإثم، وهو أسلوب في الدعوة يناسب بعض حالات النفوس»[١].

وأما الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ فقد وردت . بأسلوبيها الخبري والإنشائي . على سبيل التهديد[٢]. وفيها أيضًا امتنان، وحث على طلب الرزق والسعي في تحصيله.

وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ ﴾أكد الخبر بقوله:(ولقد) لتنزيل المعرّض بهم منزلة من يظن أن الله عاقب الذين من قبلهم لغير جرم، أو لجرم غير التكذيب. فهو مفرع على المؤكد، فالمعنى: لقد كذب الذين من قبلهم، ولقد كان نكيري عليهم بتلك الكيفية[٣]. ونلمح من تعبير الآية التهديد والوعيد لمن سلك سبيل الذين كذبوا من قبلهم.

أما قوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾ فقوله:(وقيل) بني للمجهول: أي وقيل لهم تقريعًا وتوبيخًا وتحذيرًا: هذا الذي تقدم من عنادكم ومكركم واستكباركم، و﴿ كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾ أي بسببه ومن أجله. وصرف القول إلى الخطاب؛ لأن التقريع به أنكأ في العذاب، وقدم(به) للاختصاص؛ حتى كأنهم لا مَطلُوبَ لهم غيره[٤]. وعبر باسم الإشارة(هذا) لأنه . في تقدير الباحث . يصف اللحظة الحاضرة في يوم القيامة التي سيواجهها الذين كفروا، وسيرونها عين اليقين لتوبيخهم.

---

(١) في ظلال القرآن/ سيد قطب:٣٦٤٨

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب/ أبو حفص الدمشقي:٢٤٦/١٩

(٣) التحرير والتنوير :٢٩ / ٣٧.

(٤) ينظر نظم الدرر: جـ ٨٦/٨

وكونه إخباراً عما سيجري من أحداث يوم القيامة، فإنه يوحي بالنصح والإرشاد والتحذير من سلوك الذين كذبوا رسلَهم من قبل.

وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: ما تشكرون الله على نعمة الإيجاد والإمداد إلا شكراً قليلاً لا يوازي قدر النعمة، يوبخهم تعالى على كفرانهم نِعَمَهُ عليهم، إذ أوجد لهم أسماعًا وأبصارًا وأفئدة، ولم يحمدوه على ذلك ولم يشكروه بالإيمان به وبطاعته.

فهكذا جاءت الأساليب الخبرية لترفد السورة بالتنوع في الأساليب، ولتكمل بناء هذه السورة وتشد من تلاحمها وتماسكها.

ب . العدول في الأساليب الإنشائية:

ونعني بها الأساليب الإنشائية الطلبية التي لها مكانتها، ولها شأنها في الكشف عن خبايا النفوس وخفايا البلاغة، ولولا تأثير هذه الأساليب وقوتها؛ لما خاطبهم الله سبحانه وتعالى بها.

ولقد وقفنا على أسلوبين من أساليب الإنشاء تَوافَرا في السورة؛ هما: **أسلوب الاستفهام، وأسلوب الأمر** حتى نتبين ما أمكن من لطائفَ فنيةٍ، ومنبهاتٍ بلاغيةً وأسلوبية تجسد بعض ملامح العدول في هذين الأسلوبين في سورة الملك.

وسبب الاكتفاء بهذين الأسلوبين هو حضورهما في السورة، ولا سيما أسلوب الاستفهام. أما بقية الأساليب الإنشائية فلا وجود لها في السورة.

١. أسلوب الاستفهام:

يتكرر أسلوب الاستفهام في السورة بصورة لافتة، ولعل ذلك لما له من وقع خاص في النص على مستوى المبدع والمتلقي، ولتحرك هذا الأسلوب بين معان سياقية مختلفة تكشفها بعض السياقات، فتعدل عن معنى مألوف إلى معان يفرضها السياق في مستويات العمل الأدبي المتباينة؛ مما يضفي قيمًا جمالية. والاستفهام مثل غيره من

الأساليب الإنشائية يخرج عن وضعه الأصلي إلى معان أخرى؛ ليحقق أغراضًا بلاغيةً متنوعة. وكل ما وقع في كلام الله تعالى من الاستفهام هو استفهام مجازي لا حقيقي؛ لأن الله تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء، وهو عليم بذات الصدور.

وهذه المعاني البلاغية التي تخرج إليها أدوات الاستفهام من تشويق وتَعَجُّب وتقرير وإنكار وغير ذلك؛ كثير منها تخضع للذوق الأدبي، وليس لها قواعد موضوعة يمكن أن يحتكم إليها، وبسبب من هذا جاءت الآراء مختلفة في معاني الاستفهام في القرآن الكريم.

والهمزة: أكثر أدوات الاستفهام استعمالاً؛ فقد وردت في(٧ مواضع) من السورة.

وبجانب همزة الاستفهام وردت خمس أدوات استفهام أخرى، وهي:

(من) في أربعة مواضع، **و(كيف)** في موضعين، **و(أي)**، **و(هل)**، **و(متى)** كل واحدة في موضع واحد.

ولعل وضع الهمزة على حرف واحد جعلها سهلة على اللسان، ليس في استعمالها كلفة، فجاءت على أساليب كثيرة، ولبست حُللاً من البيان والجمال.

ومن الأساليب التي جاءت عليها الهمزة في السورة أسلوب الجملة المنفية في ثلاثة مواضع؛ فقد صحبت فيها(لم) مرتين: مرة مع الفعل المضارع(يأتي) في قوله:﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾، ومرة مع الفعل المضارع(يرى) المسبوق بحرف العطف الواو﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ ..﴾. أما المرة الثالثة فقد جاءت مصاحبة(لا) النافية مع الفعل المضارع(يعلم): ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ... ﴾.

وجاءت مع الجملة المثبتة في أربعة مواضع: جاءت أولاً في موضعين مصاحبة للفعل الماضي(رأيتم): ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴿٢٨﴾.. قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴾مسبوقة بفعل الأمر(قل)، وفي موضع

ثالث مع الفعل الماضي(أَمِنَ) : ﴿ءَأَمِنتُم﴾، وفي موضع رابع مع اسم الموصول(مَنْ) المسبوق بحرف العطف الفاء ﴿أَفَمَن يَمْشِى﴾.

فمن صور الاستفهام بالهمزة التي وردت مع(لم) قوله تعالى:﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾، وهذا السؤال جاء على وجه التقرير والتوبيخ ليزيدهم حسرة. قال الزمخشري: «توبيخ يزدادون به عذاباً إلى عذابهم، وحسرة إلى حسرتهم»[(١)].

أما الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ فالاستفهام بالهمزة هنا معناه الإنكار؛ نُزِّلوا منزلة من لم يَرَ هاته الأحوال في الطير؛ لأنهم لم يعتبروا بها، ولم يهتدوا إلى دلالتها على انفراد خالقها بالإلهية[(٢)]؛ فينكر الله تعالى على هؤلاء الناس غير المؤمنين؛ ألاَّ يروا هذه الآيات رؤية تأمل وتفكر واعتبار، وأنه وحده المستحق للعبادة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ تتضمن الآية الأولى منهما أن السر والجهر يتساويان بالنسبة إلى علمه عزَّ وجلّ، فالله سبحانه عليم بما تهمس به الألسن، وما تكنه الأنفس وما تخفيه الصدور، لا يخفى عليه شيء في السماء ولا في الأرض.

الآية الثانية: . ويتصدرها الاستفهام بالهمزة . : ﴿ ألا يعلم ... ﴾، وهو استفهام إنكار وتوبيخ لأولئك الذين يزعمون عدم إحاطة علمه عزَّ وجلّ بما يسرون وما يجهرون به.

---

(١) الكشاف: ٥٧٨/٤.

(٢) ينظر التحرير والتنوير:٣٩/٢٩.

وأما قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فيروى أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله(ﷺ) وعلى من آمن به، يدعون عليهم بالهلاك[1]، فأمر الله سبحانه وتعالى رسوله أن يقول لهم هذا القول.

وقد عدل بالاستفهام(أرأيتم) هنا إلى الإنكار على المشركين وتوبيخهم في دعائهم على رسول الله(ﷺ)، ومن آمن به-بالهلاك، وأن يتربصوا به ريب المنون، مع أن هذا الهلاك لا ينفعهم شيئًا، ولا يحميهم من عذاب الله تعالى جزاء كفرهم، ولا يضر برسول اللّه(ﷺ).

وقد اقترن باستفهامٍ آخر في الآية وهو الاستفهام بـ(**مَنْ**) في قوله:﴿ فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فعدل عن أصله، وأضاف إلى ما سبق النفي والتهديد.

وهو سؤال يردهم إلى تدبر حالهم، والتفكير في شأنهم، «ولكنه لا يقول لهم: فمن يجيركم...؟ ولا ينص على أنهم كافرون، إنما يلوِّح لهم بالعذاب الذي ينتظر الكافرين: ﴿ فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وهو أسلوب في الدعوة حكيم، يخوفهم من ناحية، ويدع لهم فرصة في التراجع عن موقفهم من ناحية. فلو جابههم بأنهم كافرون، وأنه لا مفر لهم من العذاب الأليم؛ فربما جهلوا وحمقوا وأخذتهم العزة بالإثم أمام الاتهام المباشر والتهديد. ففي بعض الحالات يكون أسلوب التلميح أفعل في النفس من أسلوب التصريح»[2].

ومثلها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ .

---

(١) ينظر التفسير المنير:٢٩/٣٧.

(٢) في ظلال القرآن:٣٦٤٧.

(أرأيتم) هنا بمعنى(أخبروني) للتوبيخ. وقد انضم إليه استفهام آخر بـ(مَنْ)،(فمن يأتيكم...) للنفي والتعجيز، والغرض توبيخ المشركين وتنبيههم، على أن الله تعالى هو وحده الذي يأتيهم بالماء، وتوبيخهم على تركهم عبادة اللّه، وعلى عبادتهم أصنامًا لا تستطيع أن تأتيهم بالماء إن أصبح ماؤهم غائرًا. فاجتمعت هنا دلالاتٌ عدة عدل إليها الاستفهام وهي: التوبيخ والتهديد والنفي والتعجيز.

وفي قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴾ خرج الاستفهام في الآيتين عن مقتضاه إلى التهديد والتخويف للكفار. وفي الآية الثانية اجتمع الاستفهام بالهمزة مع الاستفهام بـ(كيف) وأضرب عن التهديد بما ذكر، وانتقل إلى التهديد والوعيد بوجه آخر[1]. فكانت الآية الثانية بمثابة الطرقات المتكررة على شيء ما، وعادة تكون الطرقات الأخيرة هي التي لها أبلغ الأثر في المطروق.

وجاء الاستفهام بـ(**كيف**) أيضاً في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾، أي: إنكاري عليهم بإنزال العذاب؛ أي: كان على غاية الهول والفظاعة، فقد نبه الاستفهام على استحضار ذلك العذاب، وجمع إلى التسلية غاية التهديد[2]؛ تسلية لرسوله ومواساة ألا يحزن من تكذيبهم وإعراضهم، وتهديدا لهم بأن تماديهم في التكذيب سيوصلهم إلى النهاية التي حاقت بالذين من قبلهم. فكل هذه المعاني دل عليها سياق الآية، وأوحى بها الاستفهام بـ(كيف) التي عدل بها عن وضعها الأصلي.

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم:٩/٧، روح المعاني:٢٩/١٦

(٢) ينظر نظم الدرر: جـ ٨/٧٩

وأما اسم الاستفهام(مَنْ)؛ فقد سبق الإشارة إلى اقترانه باستفهام بالهمزة في موضعين، وفي آيتين متتابعتين جاء الاستفهام بـ(مَنْ) مسبوقا بأم المنقطعة المقدرة بـ(بل).

فقال في الآية الأولى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾. وهو توبيخ للمشركين؛ ينفي أن يكون لهم ناصر من عذاب الله غير الله؛ انتقل من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب قدرة الله تعالى إلى التوبيخ بما ذكر من نفي نصرة غيره تعالى في ذلك. ومع النفي والتوبيخ يمكن أن يفيد التعجيز.

وفي الآية الثانية:﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾ خطاب للمشركين، وعدل به إلى التوبيخ والتهديد، وإقامة الحجة عليهم[(١)].

وقد يوحي الاستفهام ـ هنا ـ أيضاً بالنفي والتهكم. «وهو تصوير لحقيقة النفوس التي تعرض عن الدعوة إلى الله في طغيان عات، وفي إعراض نافر، وتنسى أنها من صنع الله، وأنها تعيش على فضله، وأنها لا تملك من أمر وجودها وحياتها ورزقها شيئًا على الإطلاق»[(٢)].

وجيء بالفعل(يرزقكم)؛ لأن الرزق من الله أمر حادث ومتجدد، ويقتضي التكرار؛ لأن حاجة البشر إليه مستمرة. كما يفيد نفي واستحالة من يتكفل برزقهم؛ لأن الرزاق الدائم هو الله سبحانه وتعالى.

فأوحت الآيتان بمعان عدة: النفي والتوبيخ والتهديد والتعجيز والتهكم، وجاء اسم الإشارة(هذا) بعد الاستفهام ليؤدي دلالة إضافية وهي التحقير في الآيتين لذلك المزعوم بالنصرة والرزق، وتكرار الاستفهام أفاد توكيد هذه المعاني وتقريرها.

---

(١) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل/ابن جزي:٢/٤٦٩.

(٢) في ظلال القرآن:٣٦٤٤

وأما أداة الاستفهام(**أي**)فقد وردت في الآية الثانية من السورة في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾، فجاءت(**أي**) اسم استفهام يحمل معنى التحضيض على حسن العمل[١].

وإذا ما انتقلنا إلى أداة الاستفهام(**متى**) التي يعدل بها أحياناً إلى الاستبعاد والاستبطاء نجد أنها وردت في موضع واحد هو قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

والاستفهام . هنا . خرج عن أصل وضعه إلى السخرية والاستهزاء بما يعدهم به الرسل، ويظهر من الاستفهام أيضًا استبعاد تحقيق الوعد؛ فهذه المعاني مجتمعة أوحى بها هذا الاستفهام.

وورد الاستفهام بـ(**هل**) في موضع واحد أيضاً هو قوله تعالى:﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، وفي هذا الاستفهام تأكيد وحث على التبصر والتأمل[٢]. ومعلوم أن الاستفهام هنا معدول به إلى النفي، فقد بالغ في النفي من خلال حرف الجر الزائد(مِن) أي: إن أرجعت بصرك مرات ومرات فلن تجد شيئًا من فطور البتة.

والملاحظ في أسلوب الاستفهام في السورة أنه انتقل من معانيه الأصلية إلى ذكر بعض المعاني المجازية التي تخرج إليها ألفاظ الاستفهام؛ بحسب ما يناسب السياق والمقام.

فكان تعامل الباحث مُنصبًّا على حيوية الاستفهام ودوره الفاعل داخل النص من حيث هو طاقة دلالية، وله تميزه بين الأساليب الإنشائية الأخرى. واستطاع أسلوب

---

(١) ينظر التحرير والتنوير:١٥/٢٩.

(٢) ينظر المصدر نفسه: ١٩/٢٩

الاستفهام العدول عن أصلية استعماله إلى استعمالات جديدة مكنت من إكساب التعبير دلالات حية أضفت على المعنى أبعاده الجمالية والدلالية. وكان لهذا الأسلوب حضوره البارز في السورة، وتجلى بوضوح في النصف الثاني من السورة. وكانت أبرز الأغراض التي انتقل إليها الاستفهام هي الإنكار والتوبيخ والتهديد والوعيد.

٢. أسلوب الأمر:

ومعلوم أن الأصل فيه الدلالة على الوجوب، غير أنه قد يخرج على أصله، ويعدل إلى دلالاتٍ بلاغية أخرى يقتضيها السياق.

وقد ورد في السورة أفعال الأمر الآتية:(فارجع.. ثم ارجع..، فامشوا.. وكلوا، وَأَسِرُّوا.. أَوِ اجْهَرُوا..)، كما ورد فعل الأمر(قُلْ) ست مرات في الآيات الأخيرة من السورة.

فمن ذلك قوله تعالى:﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ وصيغة الأمر هنا لا يراد بها المعنى الحقيقي للأمر؛ وإنما هي مستعملة في الإرشاد للمشركين مع دلالته على الوجوب للمسلمين؛ أخبر أولاً بأنه لا تفاوت في خلقه، ثم أمر ثانيًا بترديد البصر في ذلك لزيادة التأكيد وحصول الطمأنينة[١].

ولعل في هذا الفعل وفي تكراره شيء من التحدي، وقد لفت إلى هذا سيد قطب في قوله:

---

(١) ينظر فتح القدير:٥/٣٢٨.

"وأسلوب التحدي من شأنه أن يثير الاهتمام والجد في النظر إلى السماوات وإلى خلق اللّه كله. وهذه النظرة الحادة الفاحصة المتأملة المتدبرة هي التي يريد القرآن أن يثيرها وأن يبعثها..."(١).

وجاء الأمران(فامشوا، وكلوا) في قوله تعالى:﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ ﴾ للإباحة، وفيهما إظهار الامتنان. «ويفيدان معنى الإدامة تذكيرًا بما سخر الله لهم من المشي في الأرض، وأكل الرزق امتنانًا بذلك»(٢). فانظر كم هي الدلالات التي أفادها هذا العدول في فعل الأمر!

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ ﴾؛ أمران عدل بهما إلى التسوية، أي: كلها سواء لديه، لا يخفى عليه منها خافية.

ثم أخبر تعالى بما هو أخفى من هاتين الحالتين؛ فقال: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ يعني فكيف لا يعلم السر، فهي تعليل للتسوية المستفادة من صيغة الأمر. ولذلك جيء بوصف(عليم) الذي يفيد المبالغة بسعة العلم.

أما فعل الأمر(قُلْ) الذي تكرر(ست مرات) في آخر السورة بصورة لافتة؛ فهي توجيهات إلهية من الله عزَّ وجلّ لنبيه الواسطة بين الحق والخلق لتبصيرهم، وللرد على مزاعم المشركين، ودالة على أن المولى عز وجلّ مع رسوله في كل خطوة، وفي كل حَدَثٍ

---

(١) في ظلال القرآن:٦/٣٦٣٢.

(٢) التحرير والتنوير:٢٩/٣٢.

يُستجَدّ. «وتكرر الأمر بالقول تنبيهًا على أن كل جملة صدرت به كافية في الدلالة على مقصود السورة، وعائدة إليه؛ لما اشتملت عليه من باهر القدرة، ووافر العظمة»[(١)].

فأسلوب الأمر هو الأسلوب الثاني من الأساليب الإنشائية التي وردت في السورة وخرج إلى أغراض أخرى عن مقتضى الأصل، وهو وإن لم يشكل ظاهرة بارزة في السورة، إلا أنه أسهم في تنوع أساليب السورة، وتلاحم بنيتها التركيبية.

****

(١) نظم الدرر :٨/٨٦. وتنظر الآيات: ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠ من سورة الملك.

المبحث الرابع: العدول في ظاهرة الالتفات

يعد الالتفات من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

ويتميز أسلوب الالتفات بوصفه خاصية تعبيرية تتميز بطاقتها الإيحائية من حيث كان بناؤه يعتمد على العدول، فهو عند البلاغيين « العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول»(١).

ويرى بعض الباحثين أن الالتفات لا يقتصر في التحول من ضمير إلى ضمير كما حصره كثير من البلاغيين، بل إن مفهومه ليتسع حتى يشمل كل تحول في نسق التعبير؛ لا يتغير به جوهر المعنى أو البنية العميقة له؛ على حد اصطلاح التحويليين(٢).

إن اتساع مفهوم الالتفات على هذا النحو هو ما عناه بعض البلاغيين حين عرفه بقوله هو:(نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى مطلقًا)(٣). وكأن الالتفات هنا يتسع حتى يتساوى مع العدول.

وقد بين الزمخشري « أن العرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد»(٤).

---

(١) البلاغة والأسلوبية :٢٠٤، وينظر: الطراز/ العلوي:١٣٢/٢.

(٢) ينظر أسلوب الالتفات في القرآن الكريم:٢٤.

(٣) ينظر عروس الأفراح(شروح التلخيص) جـ١/ ٤٦٤.

(٤) الكشاف :١٤/١.

ونود . هنا . أن نحدد أبرز المجالات التي تحقق فيها أسلوب الالتفات في هذه السورة الكريمة على منهج ابن الأثير، ونتوقف في تناولنا لكل مجال منها كي نستجلي بعض ما يومض به هذا اللون البلاغي في السورة من قيم وأسرار.

فمن صور الالتفات التي احتوتها السورة:

أ. الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

والانتقال إلى الخطاب يكون أشد في التوبيخ، ومنه قوله تعالى:﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ... ﴿٢٠﴾ ﴾ وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ مع الآية التي قبلها:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ ﴾لأن الخطاب أشد في التوبيخ، وأدل على أن المخاطب ليس بأهل لأن يهاب ، ولبلاغة أسلوب الاستفهام، وإيحائه بمعان جديدة؛ أُخرج هذا المخرج.

وقال تعالى:﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ على سبيل الالتفات إلى أصحاب السعير عطفًا على قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ معناه: وإسراركم بالقول وجهركم به أيها الكافرون سيان، فلا تفوتوننا، جهرتم بالكفر والبغضاء أو أبطنتموها؛ فهو من تتمة الوعيد حينما يخاطب به الكفرة(١)، فكان الانتقال من الغيبة إلى الخطاب أبلغ، وأدل على مقصود التعبير القرآني.

ب . الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

ومن أغراضه: الإعراض عمن كان يخاطبهم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ وهذه الآية ذكرت بعد آيتين تبدأ بالخطاب: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ

---

(١) ينظر روح المعاني:١٣/٢٩.

﴿١٦﴾ ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، ففي الآية المذكورة التفات من الخطاب الذي ورد في الآيتين قبلها إلى ضمير الغيبة في هذه الآية؛ لإبراز كمال الإعراض عنهم.

قال ابن عاشور: «بعد أن وَجه الله إليهم الخطاب تذكيرا واستدلالاً وامتنانًا وتهديداً وتهويلاً ابتداءً من قوله:﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ التفت عن خطابهم إلى الإخبار عنهم بحالة الغيبة، تعريضًا بالغضب عليهم بما أتوه من كل تكذيب للرسول(ﷺ) فكانوا جديرين بإبعادهم عِزَّ الحضور للخطاب، فلذلك لم يقل:(ولقد كذب الذين من قبلكم) ولم يقطع توجيه التذكير إليهم والوعيد، لعلهم يتدبرون في أن الله لم يدخرهم نُصحًا»[(١)].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ قوله:(بل لجوا...) التفات من الخطاب إلى الغيبة إعراضًا عنهم. «وهو إضراب عن مقدر يستدعيه المقام؛ كأنه قيل بعد تمام التبكيت والتعجيز: لم يتأثروا بشيء من ذلك، ولم يذعنوا للحق(بل لجوا) أي: تمادوا استكبارًا وطغياناً، وشرودًا عن الحق لثقله عليهم»[(٢)].

والملحوظ في أدلة هذا النوع من الالتفات بروز غرض الإعراض عن المخاطبين تقليلاً من شأنهم واستحقارًا لهم وعدم تشريفهم بالخطاب، ويحمل في طياته التهديد والوعيد.

ج . الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

ففي الآيتين:﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ التفات من التكلم:(وأعتدنا) إلى الغيبة:(بربهم)، فصرف القول عن مقام العظمة إلى الإحسان الخاص بالتربية؛ تنبيهًا على ما في إنكاره من عظيم الكفران بربهم الذي تفرد

---

(١) التحرير والتنوير:٢٩/٣٦.

(٢) البحر المديد :٨/١٤٦

بإيجادهم، والإحسان إليهم، فأنكروا إيجاده لهم بعد الموت[١]. ولعل الغرض من هذا الالتفات لإبراز صفة الربوبية التي تتضمن معاني الإحسان والإنعام، ولا يتأتى إبراز هذه الصفة لو صيغت العبارة على أصل الوضع(وللذين كفروا بنا).

د . الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾. عدل عن الضمير الغائب في الآيات السابقة منذ قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ إلى ضمير المتكلم بضمير الجمع(زينا) الذي يدل على العظمة.

وهذا رجوع من الغيبة إلى التكلم، والفائدة في ذلك أن طائفة من الناس كانوا يعتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا، وأنها ليست حفظاً ولا رجوماً. فلما صار الكلام إلى ها هنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس؛ لأنه مهم من مهمات الاعتقاد، وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتقدة بطلانه[٢].

وجاءت كلمة(مصابيح) بدلاً من النجوم هنا على التشبيه في حسن المنظر، فهو تشبيه بليغ. وعدل عن تعريفها إلى التنكير لما يفيده التنكير من التعظيم[٣].

وفي الآية زيادة توكيد في افتتاحها بواو القسم، وبحرف(قد) التي تفيد التحقيق مع اللام الذي يفيد التوكيد أيضًا. فما من شَكٍّ أن هذه التوكيدات مجتمعةً جاءت للرد على منكرين كما هو مُقرَّرٌ في عُرْفِ البلاغيين.

---

(١) ينظر نظم الدرر: جـ٨/٧٠.

(٢) ينظر المثل السائر :٢/١٧٣، ذكر ابن الأثير ذلك في آية مماثلة هي قوله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ فصلت: ١٢

(٣) التحرير والتنوير:٢٩/٢١

واستعمال ضمير المتكلمين(نا) في القرآن الكريم) وفي الكلام العربي، والمتكلم مفرد؛ إنما يفيد التعظيم، وهذا أبلغ من استعمال ضمير الغيبة هنا.

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾. إنذار عظيم، ووعظ بليغ شديد. ووعيد بما يقطع القلوب. وصرَفَ القولَ إلى مقام التكلم ـ بعد إيراد الكلام بضمير الغائب(يرسل) . إيذانًا بشديد الغضب، فقال: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[(١)]. أي: نذيري، بما يفيد الوعيد الشديد للمخاطبين. وكرر ذكر ما يخشونه زيادةً في الترهيب.

هـ . الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل:

والأفعال التي تصف ما يحصل يوم القيامة بصيغة الماضي الواردة في الآيات:(٨ . ١١):(ألقي، **سألهم، قالوا، قد جاءنا، فكذبنا وقلنا، وقالوا، فاعترفوا**) وكذلك الأفعال في الآية(٢٧):(**رأوه، سيئت، وقيل**)، فكل هذه الأفعال وردت بصيغة الماضي، وهي تحكي عن أحداث مستقبلية لم يأت زمانها بعد، فما المغزى من ذلك؟

لا شك أن التعبير بالفعل الماضي عن المستقبل هو أسلوب من أساليب البلاغة القرآنية الرفيعة، يقول ابن الأثير: « والإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل فائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد؛ كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان وَوُجِدَ، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها»[(٢)].

و . الالتفات من الإفراد إلى الجمع:

---

(١) ينظر نظم الدرر: جـ ٨/٧٨.

(٢) المثل السائر: ٢/١٩٨.

نحو قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فذكر أولاً السمع بالإفراد، ثم عدل إلى الجمع فقال:(الأبصار والأفئدة)؛ لأن القلوب متفاوتة، واشتغالها بالتفكر في أمر الإيمان والدين مختلف باختلاف وضوح الأدلة، وكذلك الأبصار أيضًا متفاوتة التعلق بالمرئيات التي فيها دلائل الوحدانية في الآفاق وفي الأنفس، وأما الأسماع فإنما كانت تتعلق بسماع ما يلقى إليها من القرآن، فالجماعات إذا سمعوا القرآن سمعوه سماعًا متساويًا، وإنما يتفاوتون في تدبره(١).

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾، فقد جمع ضمير الخطاب(أنتم) . بعد أن ذكر(نذير) بالإفراد . مع أن مخاطب كل فوج نذيره، لتغليبه على أمثاله مبالغة في التكذيب، وتماديًا في التضليل(٢).

ز . الالتفات من الاسم إلى الفعل:

وهذا من أقوى الالتفاتات في السورة، ومن أشدها إدهاشًا للمتلقي للمفارقة الواضحة بين الاسمية والفعلية، وذلك في قوله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ﴾، فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل، وبما هو أصل بلفظ الاسم على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة، ويتجدد حينًا إثر حين، كما يكون من السابح.

والأصل في المعطوف التبعية للمعطوف عليه والمطابقة؛ غير أنه . هنا . عدل إلى الفعل المضارع في(يقبضن) لاستحضار تلك الحالة العجيبة، وهي حالة عكس بسط الجناحين؛

---

(١) ينظر التحرير والتنوير: ٢٥٦/١

(٢) ينظر إرشاد العقل السليم: ٥/٩.

لأنه بذلك العكس يزداد الطيران قوة امتداد زمان. وجيء في وصف الطير بـ(صافات) بصيغة الاسم؛ لأن الصف هو أكثر أحوالها عند الطيران، فناسبه الاسم الدال على الثبات، وجيء في وصفهن بالقبض بصيغة المضارع لدلالة الفعل على التجدد[١].

والخلاصة في هذا اللون البلاغي أن الالتفات من الظواهر التي برزت في السورة بوصفه خاصية تعبيرية تتميز بطاقتها الإيحائية من حيث كان بناؤه يعتمد على العدول، وقد جاء لإضفاء مزيداً من الظلال الرائعة على أساليب السورة المتنوعة.

وكان من أبرز أغراضه في السورة الإعراض عن المخاطبين للتقليل من شأنهم والتوبيخ والوعيد.

ح . الإظهار في موضع الإضمار:

وهو من أقسام الإطناب في البلاغة العربية، فذكرناه هنا لانسجامه مع ظاهرة الالتفات.

والأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وألا يذكر الضمير إلا وقد سبقه ما يعود عليه، ولكن قد يخرج الكلام على خلاف الأصل؛ فقد يوضع المضمر موضع المظهر لأسباب بلاغية، كما قد يوضع المظهر موضع المضمر لنكتة بيانية يرمي إليها المتحدث.

فالأصل ألا يذكر الضمير إلا وقد سبقه ما يعود عليه ليكون المقصود بالكلام واضحًا، تقول:(لقيت زيدًا وأكرمته)، فتذكر الضمير في(أكرمته)؛ لأنه سبقه ما يعود عليه، ولا تقول:(لقيته) هكذا ابتداءً؛ لأن ذلك ضرب من التعمية والإلباس؛ يناقض القصد من اللغة والبيان[٢].

---

(١) ينظر روح المعاني:٢٩/ ١٧، التحرير والتنوير: ٢٩ / ٣٩.

(٢) خصائص التراكيب/ محمد حسين أبو موسى: ٢٤١

وقد أدرك البلاغيون وحي الكلمة وعملها بما يثيره لفظها من شؤون في النفس لا يستطيعها الضمير العائد عليها. انظر إلى قول الشاعر:

نفسُ عصامٍ سوَّدَتْ عِصاما وعلَّمته الكرَّ والإقداما

قال عبد القاهر معلقًا عليها: « لا يخفى؛ على من له ذوقٌ؛ حُسْنُ هذا الإظهار، وأن له موقعًا في النفس، وباعثًا للأريحية لا يكون إذا قيل:(نفس عصام سودته) شيء منه البتة»(١).

ومن صور الإظهار في موضع الإضمار:

١- قوله تعالى: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾، هذه الآية وما فيها من عدول عن الإضمار إلى الإظهار؛ تكررت كلمة البصر مرتين؛ ولم يجد الباحث . فيما اطلع . من تطرق إليها من المفسرين أو غيرهم في بيان سر الإظهار في كلمة البصر، فمن غير شك أن تكرار كلمة(البصر) أبلغ وأجمل من ذكر الضمير، وأن قدرًا كبيرًا من التأثير يظل الاسم الظاهر محتفظًا به، ولا يستطيع الضمير حملها نيابةً عنه؛ لأنها تتولد حين يقرع اللفظ السمع بجرسه، وارتباطاته المختلفة.

ولعل القصد من ذلك التنبيه على عظم خلق السموات، وإحكام صنعها. ويبقى لكلمة البصر من القدرة على إثارة قدر كبير من الجمال لا ينهض الضمير بشيء منها. وبوضع الضمير مكان كلمة(البصر) يتكشف لنا الفرق بين الاستعمالين. فضلاً عما توحيه العبارة المتكررة(ثم ارجع البصر) بالعطف، حيث نزل بُعد المرتبة منزلة البُعد الزمني « كما هو شأن(ثم) في عطف الجمل؛ فإن مضمون الجملة المعطوفة بـ(ثم) هنا أهم وأدخل

---

(١) دلائل الإعجاز، تح شاكر:١٦١.

في الغرض من مضمون الجملة المعطوف عليها؛ لأن إعادة النظر تزيد العلم بانتفاء التفاوت في الخلق رسوخًا ويقينًا».[١] وفي هذا حث على التدرج والارتقاء في التأمل والتفكر في عظمة الخالق المبدع.

وجاء لفظ كرتين في هذه الآية دون مرادفه نحو: مرتين؛ لأن كلمة(كرة) لم يغلب إطلاقها على عدد الاثنين، فكان إيثارها في مقام يراد فيه مطلق التكرير أظهر. وإيثار فعل(ينقلب) في الآية دون(يرجع)، لئلا يلتبس بفعل(ارجع) المذكور قبله[٢].

٢ــ وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ عدول إلى الإظهار؛ لأن الأصل أن يقول:(مَا تَرَى فِي خَلْقِهِا مِنْ تَفَاوُتٍ)، فوضع(خَلْقِ الرَّحْمَنِ) موضع الضمير تعظيماً وتنبيهاً على سلامتهن من التفاوت، وهو أنه(خَلْقُ الرحمن)، وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب. والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤيا لغير معين.

« فيكون العدول عن الضمير لتتأتى الإضافة إلى اسمه(الرحمن) المشعر بأن تلك المخلوقات فيها رحمة بالناس»[٣]. وبأنه عزَّ وجلّ خلقها بقدرته القاهرة؛ رحمة وتفضلاً، وبأن في إبداعها نِعمًا جليلة[٤]. فأعطى الاسم الظاهر من التعميم ما لم يعطه الضمير، كما أشعر خصوص اسم الرحمن بما في هذه الأدلة المبسوطة من الرحمة للخلائق[٥].

---

(١) التحرير والتنوير:٢٩ / ١٩.

(٢) ينظر المصدر السابق: ٢٩ / ١٩. ٢٠.

(٣) المصدر السابق: ١٧/٢٩.

(٤) ينظر روح المعاني:٦/٢٩

(٥) ينظر نظم الدرر: ٨ / ٩٦

وجيء بحرف الجر الزائد(من) لتأكيد النفي أي: ما ترى فيه شيئًا من تفاوت.

٣. وفي قوله تعالى:﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾وأصل الوضع أن يكتفوا بقولهم:(بلى)؛ لأن باقي العبارة قد ورد في سؤال الملائكة:(ألم يأتكم نذير)، ولكنهم زادوا على حرف الجواب بقولهم(قد جاءنا)، وهذا أيضًا جواب كاف، وزائد على المطلوب، فلم يكتفوا بذلك فقالوا:(نذير) فكان ذكرها عدولاً وإظهارًا في موضع يستدعي الإضمار. وسبب هذا الجواب المفصل هو إظهار التحسر، والتأسف على أنفسهم، وما حل بهم.

٤- وبعد قولهم: ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ قال تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وكان الأصل أن يقال: فسحقاً لهم، فعدل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ لإفادة العموم، وذمًّا لمن اتصفوا بهذه الصفة، والسعير: «أشد طبقات النار حرارة وتوقدا»[(١)]. فلو أضمر لما أفادت العموم، ولما تأتَّى وصفهم بأصحاب السعير.

٥- وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾. فوقوع هذا الموصول(من في السماء) عقب جمل(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا) إلى قوله:(وإليه النشور) [١٥] من قبيل الإظهار في مقام الإضمار، لأن مقتضى الظاهر أن يقال:(أأمنتموه) أن يخسف بكم الأرض؛ فجيء بالموصول لما تؤذن به الصلة من عظيم تصرفه في هذا الكون العظيم. أما الغرض من ذكر السماء في الآيتين فهو: « تفخيم سلطان الله، وتعظيم قدرته»[(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير:٢٩/٢٩.

(٢) ينظر اللباب: ٢٤٨/٩

٦ــ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ فعدل عن الأصل(من دونه) و« أظهر لفظ الرحمن ولم يضمر بعثًا على استحضار ما له شمول الرحمة، وتلويح إلى التهديد »[(١)].

وقال:﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾، فمقتضى الظاهر أن يقال:(إن أنتم)؛ لأن أول الآية خطاب لهم، ولكنه أراد أن يبين أن علة الغرور إنما هي الكفر، وأن يذمهم بهذه الصفة، فعدل عن الضمير إلى ذكر صفة الكفر. والأمر الثاني المستفاد من العدول هو العموم؛ ليشمل جميع الكافرين.

٨ . ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾، ففي قوله ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ عدل عن الضمير إلى هذا التعبير، فوضع الاسم الموصول(الذين) موضع الضمير(هم) لذمهم بالكفر، وتعليل المساءة به، وكان التقدير:(فلما رأوه زلفة سيئت وجوههم). والغرض: الجزم بأنهم لا مجير لهم، فإذا كانت حال المؤمنين مترددة بين الهلاك بالذنب والرحمة بالإيمان وهم مؤمنون، فماذا يكون حال من لا إيمان له[(٢)]. ومن ثمرات هذا العدول أنه يشمل جميع الذين كفروا.

٩ــ وفي قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾وضع الظاهر موضع الضمير في قوله:﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، وعدل عن الأصل:(فمن يجيركم)؛ ليبين أن علة العذاب إنما هي الكفر، وليعم جنس الكافرين.

---

(١) نظم الدرر: جـ ٨/٨١

(٢) ينظر روح المعاني:٢٩/ ٢١.

والخلاصة هنا أن العدول عن الإضمار إلى الإظهار من الظواهر البارزة في السورة، وتمثل خروج الكلام على خلاف الأصل لمقصد بلاغي؛ وهو أن الإظهار له موقع في النفس، وأريحية، وقدر كبير من التأثير يظل الاسم الظاهر محتفظًا به، ولا يستطيع الضمير أن يؤدي وظيفة الاسم الظاهر من إظهار بعض صفات المدح أو التعظيم، أو إظهار بعض صفات الذم، أو غير ذلك.

ولم تبرز الظاهرة المقابلة لها، وهي العدول عن الإظهار إلى الإضمار، ولعل من أسباب ذلك أن سياقات السورة لا تتناسب مع تلك الظاهرة، فقد لاحظنا في الآيات الثلاث السابقة كيف عدل عن الإضمار إلى إظهار صفة الكفر التي هي السبب الأول في استحقاق العذاب يوم القيامة.

وفي الآيتين:(٣ و٢٠) أظهر لفظ(الرحمن) بدلاً من الضمير، وكذلك في الآيتين:(١٦ و١٧) أظهر الاسم الموصول مع صلته(من في السماء) عدولاً عن(أأمنتموه)؛ لأن سياق هذه الآيات هو إبراز عظمة الخالق، وإحكام صنعه، أو تخويف الكافرين وتهديدهم من خالقهم الذي جعل لهم الأرض ذلولاً، وهيأ لهم الرزق، فقابلوا ذلك بالعتو والنفور. فكان الإظهار في هذه الآيات وغيرها أنسب وأبلغ من الإضمار.

****

المبحث الخامس: العدول في إيجاز الحذف

يمثل الحذف ظاهرة لغوية بارزة، وهو إيجاز بلاغي مقصود يدل على التنويه بالمقدرة اللغوية في التصرف باللغة بوجوه تخالف الوجوه التقليدية في التعبير. وهو دالة مغيبة يؤتى بها لأغراض بلاغية ودلالية يحددها السياق؛ من شأنها الاشتراك في تماسك النص وتلاحمه(١).

ويكون الحذف لتصفية العبارة، وترويق الأسلوب من ألفاظ يفاد معناها بدونها لدلالة القرائن عليها. ومقصد آخر تراه وراء كل حذف هو بعث الفكر، وتنشيط الخيال، وإثارة الانتباه؛ ليقع السامع على مراد الكلام(٢).

ولا بد لكل حذف يقع في اللغة من وجود أمرين؛ بدونهما يكون الحذف عبثًا، وهما:

١ . وجود القرينة الدالة التي تدل على المحذوف.

٢ . وجود سر بلاغي يدعو إلى الحذف، ويرجحه على الذكر(٣).

وقد وردت صور الحذف في هذه السورة العظيمة على النحو الآتي:

أ . حذف المسند(الخبر): وذلك في قوله تعالى:﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فكلمة(أهدى) خبر لاسم الموصول(من)، وحذف هذا الخبر في الجملة الثانية، والأصل أن يتكرر الخبر(أهدى)، فعدل عن ذكره لدلالة ما قبله عليه، وللإيجاز.

---

(١) الحذف في صحيح البخاري/ محمد حسين الموسوي، رسالة دكتوراه مخطوطة :١

(٢) ينظر خصائص التراكيب:١٦٠.

(٣) علم المعاني/ بسيوني عبد الفتاح:٧٧

٢ـ وفي قوله تعالى:﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ وأصل الجملة:(وقيل هذا العذاب الذي كنتم به تدعون)، فحذف(العذاب)، وهو خبر اسم الإشارة، ولعل الملمح البلاغي لهذا الحذف هو قصد إبلاغ الكافرين بأوجز عبارة تصل إلى أسماعهم لزيادة التوبيخ والتقريع. عضّد هذا حَذْفُ الفاعل للفعل(قيل) الذي بني للمجهول لهذا الغرض نفسه.

ب . **حذف الفعل والفاعل**: في قوله تعالى:﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾حُذف الفعل وأقيم مصدره مقامه، والتقدير: سحقهم الله سحقاً؛ فناب المصدر عن عامله، أو هو مفعول به لفعل محذوف؛ أي ألزمهم الله سحقاً. وفي كلتا الحالتين عدول بحذف الفعل والفاعل، ومن غير شك أن هذا التعبير أبلغ من ذكر العامل. ويرى ابن الأثير أن في هذا معنى التوكيد والمبالغة والاختصار(١).

وهذا حذف يلائم السياق؛ وتضافر ذلك مع مجيء الفاء مكررًا في الآية، وما يقتضيه من التعقيب والسرعة التي تتطلب الإيجاز.

ج . **حذف الفاعل**: ومن هذا الباب بناء الفعل للمجهول وحذف الفاعل؛ لأن نائبه ليس هو المسند إليه في الحقيقة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾ فبناء الفعل(ألقوا) للمجهول دلالةً على حقارتهم، وعلى أن إلقاءهم في جهنم في غاية السهولة على كل من يؤمر به(٢). وربما أفاد التهويل والتخويف أيضًا.

ومثله قوله تعالى:﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾.

---

(١) ينظر المثل السائر:٢/٢٨٩.

(١٠١) ينظر نظم الدرر: جـ ٨/٩٦.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ لم يعين الفاعل للعلم به، ولاسيما إذا كان فعلا لا يقدر عليه إلا الله عزَّ وجلّ، فذكره ينافي الإيجاز، ولأن الغرض توجيه المخاطب لنفس الحدث وهو الحشر.

وقال تعالى:﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ فقوله(سِيْئَتْ) بالبناء للمجهول: أي ساء وجوهَهم ذلك الوعدُ، بمعنى الموعود، وأسند حصول السوء إلى الوجوه؛ لأن آثاره تظهر عليها، والفعل الثاني:(قِيل) بني للمجهول أيضاً، فعدل في الموضعين عن تعيين الفاعل والقائل؛ لعدم الفائدة من ذكر الفاعل والقائل، وإنما(حَدَثُ السوء نفسه، وما قيل)[1]. فَحَذْفُ الفاعل والقائل من الإيجاز، وذكرهما عبث، وزيادةٌ لا تؤدي إلى فائدة بلاغية.

والملاحظ أن صورة الفعل المبني للمجهول تكرر في السورة خمس مرات.

وصورة بناء الفعل للمجهول وإسناده إلى المفعول في تحليل ابن جني يعد أرقى صورة بلاغية للجملة التي تحولت في عدة نقلات إلى هذه الصورة الأخيرة[2] التي يسميها تشومسكي البنية السطحية، أما البنية العميقة فهي الأصل الذي عدل عنه التركيب، وكل ما عداها فهي بُنىً سطحية.

د . حذف المفعول: في قوله تعالى:﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾، أي خلق الرحمن السماوات؛ لأن(خَلْق) مصدر مضاف إلى فاعله، والحذف هنا دل عليه السياق،

---

(١) ينظر المصدر السابق: جـ ٨/٨٥/ .

(٢) ينظر المحتسب/ ابن جني:١/٦٤. والجمل التي وقف عندها ابن جني في تنقلاتها بالترتيب هي: ضَربَ زيدٌ عمرًا ← عمرا ضربَ زيدٌ ← عمروٌ ضربه زيدٌ ← عمرو ضَرب زيدٌ ← ضُرِب عمرو.

أو يكون التقدير: خلق الرحمن كل مخلوق ليفيد العموم[١]. والغرض العام في التقديرين هو الإيجاز.

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾، والمراد هنا أن الطير صافّة أجنحتها فحذف المفعول؛ لأنه معلوم من الوصف الجاري على الطير؛ فلا تجعل الطير أشياء مصفوفة إلاّ ريش أجنحتها عند الطيران، فالطائر إذا طار بسط جناحيه، أي: مدها فصفّ ريش الجناح فإذا تمدد الجناح ظهر ريشه مُصطفًّا، فكان ذلك الاصطفاف من أثر فعل الطير، فوصفت به[٢].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ حذف المفعول للتعميم[٣]على أحد وجهي تفسير الآية.

وفي قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ **حذف** مفعول(فكذبنا) لما دَلَّ عليه سابقاً كلام الملائكة، أي: فكذبنا النذير، فانظر لو أنه قال:(كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير* قالوا بلى قد جاءنا نذير* فكذبنا النذير...)، بيد أن هذا افتراض لا يمكن حصوله مع التعبير القرآني الذي تميز بالإيجاز والإعجاز.

ومنه قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ فالفعلان مُتعدِّيان، وحذف مفعولاهما للاختصار والإيجاز.

---

(١) ينظر الدر المصون/ السمين الحلبي: ٣٤١/٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٩ / ٣٨.

(٣) ينظر: روح المعاني:١٤/٢٩.

هـ . حذف الموصوف: في قوله تعالى:﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾(فقليلا): صفة لمصدر محذوف تقديره(شكرًا قليلاً تشكرون) و(ما) مزيدة لتأكيد التقليل. وسبب العدول إلى هذا التعبير بالحذف: الإيجاز.

وحذف جواب الشرط: فجملة(إن أمسك رزقه) في قوله تعالى:﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ جملة شرطية، والجواب محذوف دل عليه ما تقدم.

ومثلها جملة(إن كنتم صادقين) في قوله تعالى:﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ حذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه. وهو أيضا من الإيجاز.

ز . حذف الحرف: ومنه حذف الياء في موضعين من السورة؛ الأول في قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي: نذيري، والثاني: في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: نكيري، ولعل من أسباب هذا العدول رعاية الفاصلة، والمحافظة على التنغيم الصوتي؛ لما له من قوة تأثير في النفوس، وذلك عندما يقتضيه المقام، ويتطلبه المعنى؛ لأن الآيات السابقة واللاحقة من أول السورة إلى آية رقم(٢١) منتهية بحرف الراء.

ح . حذف مشهد كامل في السياق: وذلك لمفاجأة المخاطب بنقلةٍ سريعةٍ تختصر حقبًا وأزمنةً قد يعجز الإنسان من أن يتخيلها.

وأسلوب المفاجأة أو الدهشة يبقى له حضوره الأكثر بروزاً في طبيعة المفاجأة الفاعلة والمؤثرة، وما تحدث من أثر في النص الأدبي، وفي نفس المتلقي. وطبيعة السياق هي التي تخلق المفاجأة « فالسياق الأسلوبي هو نموذج لغوي ينكسر بعنصر غير متوقع»[(١)].

ومن أشد المفاجآت فاعليةً وتأثيرًا في سورة الملك قوله تعالى:

---

(١) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته/ صلاح فضل :١٩٣.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ بعد الآية الكريمة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. فالتعبير يسوق المتلقي إلى المفاجأة، ويدرك من خلالها حقيقة تصدم أهل الضلال والكفر، وهي رؤية العذاب الذي أُوعدوا وأُنذروا به، فكذبوا الرسول والفئة المؤمنة حينما كانوا في الدنيا يقولون:﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. بهذا السؤال الذي يوحي بالاستبطاء، فحينئذٍ يقال لهم:﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾. والسياق يتكامل بعناصره الأخرى، وذلك بحذف الفاعل في الفعلين(سيئت) و(قيل) المبنيين للمجهول، إذ لا فائدة من ذكر الفاعل أو القائل، وإنما الحدث نفسه، والقول الذي قيل، وكذلك هذا التقديم الذي ورد في خاتمة الآية:﴿ به تدعون ﴾بتقديم الجار والمجرور؛ لأنه المقصود في هذا السياق، فبه؛ لا بغيره كانوا يدعون. فكانت المفاجأة عظيمة أعظم مما يتخيلونها. فضلاً عما أفاده فاء التعقيب في مستهل الآية بعد قولهم:(متى هذا الوعد؟).

قال سيد قطب . مصورًا هذه الحالة .: « وبينما هم يسألون في شكٍّ ويجابون في جَزمٍ يخيل السياق القرآني كأن هذا اليوم الذي يسألون عنه قد جاء، والموعد الذي يشكون فيه قد حان؛ وكأنما هم واجهوه الآن فكان فيه ما كان..وهذه الطريقة في عرض ما سيكون تتكرر في القرآن، لمواجهة حالة التكذيب أو الشك بمفاجأة شعورية تصويرية تقف المكذب أو الشاك وجهًا لوجه مع مشهد حاضر لما يكذب به أو يشك فيه. فهذا الانتقال المفاجئ لهم من الدنيا إلى الآخرة، ومن موقف الشك والارتياب إلى موقف

المواجهة والمفاجأة يشير إلى حقيقةٍ قائمة لو أذن الله بها لانكشفت لهم. في الوقت الذي يصور لهم هذه الحقيقة تصويراً يهزُّ مشاعرهم»[١].

ونرى أن المفاجأة قد سبقت بما يبرر وجودها في النص، فليست المفاجأة خارجة عن النص ولا عبثية فيه.

وبعد؛ فأسلوب الحذف يمثل ظاهرة لغوية، وظاهرة بلاغية وأسلوبية بارزة، وهو إيجاز بلاغي مقصود يدل على مقدرة اللغة في التصرف بوجوه تخالف الوجوه التقليدية في التعبير، يحددها السياق؛ من شأنها الاشتراك في تماسك النص وتلاحمه.

ويأتي الحذف لتصفية العبارة، وبعث الفكر، وتنشيط الخيال، وإثارة الانتباه؛ ليقع السامع على مراد الكلام. وقد جاء في السورة بصورٍ كثيرة، وكان أبرز ما تفتق عن صور الحذف الإيجاز.

****

(١) في ظلال القرآن:٦/٣٦٤٦.

المبحث السادس: العدول في أسلوب القصر

القصر من الأساليب التي عني بها البلاغيون؛ لما يضفيه على الأسلوب من قوة التأثير، وجمال التعبير، « ففي القصر إيجاز، وهو مع إيجازه يفيد التوكيد والمبالغة. والإيجاز والتوكيد والمبالغة من أسرار بلاغته»(١).

فمن حيث الإيجاز يعد القصر أحد الأركان المهمة في بنية الأسلوب الإيجازي لأن أصل التركيب في بنية القصر . في صيغة النفي والاستثناء . هو ناتج عن تركيبين:

ما فتى إلا علي: ١. الفتى علي.

٢. ليس الفتى غيره.

وهكذا بقية طرق القصر؛ تتضمن(الإثبات والنفي)، أي: إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، ويؤدي أسلوب القصر إلى تركيز الدلالة وتثبيتها في ذهن المتلقي. وأسلوب القصر بنية تعتمد في تركيب رؤيتها الدلالية على مستوى البنية العميقة داخل النص.

ومن أقسامه البارزة في السورة:

أ. القصر بطريقة التقديم:

وهو ما سبق تناوله في مبحث التقديم والتأخير، والمعني منه: تقديم ما حقه التأخير الذي يفيد الاختصاص، وهو أحد أقسام القصر، وطريقة من طرقه المشهورة لدى علماء البلاغة.

---

(١) البلاغة الاصطلاحية/عبد العزيز قلقيلة:٢٣٩.

فمنه ما جاء في مفتتح السورة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ ، تقدم قوله(بيده الملك) فأفاد الاختصاص، أي: الملك بيده، لا بيد غيره؛ لأن كل ملك بيد غيره ناقص، ومعرض للزوال.

وفي قوله تعالى:﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ تقدم الجار والمجرور ليفيد الاختصاص؛ فإن المرجع بعد البعث إليه؛ لا إلى غيره عزَّ وجلّ.

وفي الآية:﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ جاء تقديم(بكل شيء) على متعلقه للحصر رَدًّا على من يزعم عدم شمول علمه تعالى جل شأنه.

ونحو قوله تعالى:﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تقدم المعمول(وإليه) ليدل على أن العدول هنا أفاد الاختصاص والقصر.

وفي قوله: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ جاء تقديم الجار والمجرور لحصر التوكل على الله.

وفي الآية:﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾تقدمت شبه الجملة(به) على العامل(تدعون) للاختصاص والقصر، حتى كأنهم لا مطلوب لهم غيره.

ففي كل الآيات السابقة عدل إلى تقديم شبه الجملة الجار والمجرور الذي من حقه التأخير عادةً ليدل على الحصر والقصر والاختصاص.

ب . القصر بطريقة تعريف الجزأين:

وهي إحدى طرق القصر المعروفة، والجزآن هما المبتدأ والخبر، وتَرِدُ كثيرًا في أسلوب القرآن الكريم، وقد وردت في ستة مواضع من السورة، وهي:

١. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾، وفي هذا التعبير قصر العزة والغفران لله عزّ وجلّ؛ أي: هو العزيز الذي لا عزيز غيره، وهو الغفور الذي لا غفور غيره.

ومثلها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

ومنها ما ورد المسند(الخبر) اسماً موصولاً(الذي)، وورد في ثلاثة مواضع، وكلها تخص الذات الإلهية على النحو الآتي:

أ- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ القصر المستفاد من تعريف الجزأين هنا قصر قلب؛ بتنزيل المخاطبين منزلةَ من يعتقد أن الأصنام خَلَقَتِ الأرض؛ لأن اعتقادهم إلهيتها يقتضي إلزامهم بهذا الظن الفاسد وإن لم يقولوه(١).

ب . ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ... ﴿٢٣﴾ ﴾أي: هو وحده.

ج . وهكذا قوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ... ﴿٢٤﴾ ﴾

وفي كل الأمثلة السابقة تم العدول إلى تعريف الخبر، والأصل أن يكون الخبر نكرة. قال الرضي: « ثم اعلم أن الأغلب في الاستعمال تعريف المبتدأ؛ لأن الأصل كون المسند إليه معلومًا، وكذا الأصل تنكير الخبر، لأنه مسند»(٢)، فأفاد في هذا العدول قصر المسند على المسند إليه.

ج . القصر بالنفي والاستثناء:

والأصل فيه أن يستعمل فيما يجهله المخاطب أو ينكره، وقد ورد في ثلاثة مواضع:

في قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾، وهو خطاب الكفار للرسل، وكان اعتقادهم أن الرسل غير صادقين، فإذاً هم في ضلال كبير. وأكدوا ذلك باستعمال(إنْ) التي هي أقوى توكيدًا من(ما)، وكذلك مجيء(ضلال) نكرة، وزاد وصفه بـ(كبير) لإفادة التعظيم والتهويل.

---

(١) التحرير والتنوير:٢٩/ ٣٠

(٢) شرح كافية ابن الحاجب / رضي الدين الاستراباذي:١/ ٢٥٥.

ومعنى القصر المستفاد من النفي والاستثناء﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ قصر قلب، أي: ما حالكم التي أنتم متلبسون بها إلا الضلال، وليس الوحي الإلهي والهدى كما تزعمون.

وقوله تعالى في الطير:﴿ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾. فقد اختار النفي والاستثناء ليؤكد هذه الحقيقة، وهي قدرة الله عزَّ وجلّ على خلق هذه الطيور وجعلها تطير بهذه الصورة العجيبة، وتأكيد هذه الحقيقة في نظر الكفار الذين يغفلون عن هذه الحقائق الإلهية العظيمة.

وأما الموضع الثالث، ففي قوله تعالى:﴿ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٖ﴾، فقد اختار هذا الأسلوب لينزل المخاطب منزلة من لا يعلم، ولاسيما الكفار أنفسهم أنهم في غرور، وفي غفلة، وهم يظنون أنفسهم أنهم على حق، « وهذا قصر إضافي لقلب اعتقادهم أنهم في مأمنٍ من الكوارث بحماية آلهتهم»[(١)].

وجاء استعمال(إن) النافية بدلاً من(ما)؛ لأن النفي بـ(إنْ) آكد من(ما)، يدل على ذلك: اقترانها الكثير بـ(إلا)، وهذا ما يعطيها قوةً وتأكيدًا، فإنَّ في القصر قوة؛ وذلك نحو قوله تعالى:﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾[إبراهيم: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].[(٢)]

د . القصر بإنما:

ويتضمن إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعةً واحدة، في حالٍ واحدة.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٤٠.

(٢) ينظر معاني النحو/ فاضل السامرائي: ٤/ ٥٧٦.

وجاء القصر **بإنما** في موضعين من السورة، والأصل أن تستعمل **إنما** لما يعلمه المخاطب ولا ينكره، كقولك:(إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم) لمن يعلم ذلك ويقرّ به. وما يستعمل له النفي والاستثناء على العكس؛ فأصله أن يكون مما يجهله المخاطب وينكره.

ثم إنه قد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبارٍ مناسب، فيستعمل له النفي والاستثناء. وقد يُنَزَّل المجهول منزلةَ المعلوم لادعاء المتكلم ظهوره، فيستعمل له(إنما)[١].

وهذا ما جاءت عليه الآيتان:﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ فهم قد يعترفون أن العلم من عند الله؛ فيكون قد اختار الأداة المناسبة وخاطب المخاطب بما يعلم.

أما قوله: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ما أنا إلا نذيرٌ بوقوع هذا الوعد لا أتجاوز ذلك إلى كوني عالما بوقته[٢]. فأفاد اختصاص الرسول(ﷺ) بالإنذار دون العلم بموعد الحشر.

فهم لا يؤمنون بما يأتيهم به الرسول(ﷺ)، ولكنه نزَّلهم منزلةَ مَنْ يعلم؛ لأن تلك هي الحقيقة التي ينبغي أن يؤمنوا بها، ولا يفرطوا فيها، فينالهم الخسران والندامة.

فهكذا جاء أسلوب القصر بطرقه الأربع التي وردت في السورة ليعضِّد الأساليب التي تناولها البحث، بقوة توكيداته، وبلاغة إيجازه وما يوحي به من المبالغة، فتكتمل دائرة العدول في البنية التركيبية في سورة الملك.

---

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن/الزركشي: ٤/٢٣١.

(٢) التحرير والتنوير:٢٩/٤٦.

خلاصة البحث

من خلال اكتشاف أصول مصطلح(العدول) لدى أسلافنا؛ يتجلى عمق ما وصل إليه الباحثون القدماء في استكناه خصوصية المصطلح بالانتقال من معنى إلى معنى، فهو مَعْنِيٌّ بالبيان العربي في لفتاته البلاغية، وهو مَعْنِيٌّ بدلالة الألفاظ في صيغ الاستعمال.

أولت الدراسات الأسلوبية الحديثة مصطلح(العدول) عناية كبيرة؛ لما لمسوه فيه من خاصِّيَّةٍ جمالية تتوقف عليها اللغة الشعرية، وعنصرَ مفاجأةٍ تهزُّ المتلقي، فهو مَوْرِدٌ من موارد التأنق في الأسلوب، وظاهرةٌ بلاغيةٌ وأسلوبية؛ لأنه انزياحٌ عن المستوى العادي من اللغة إلى المستوى الفني؛ يقطع رتابة النص بما يضفيه من تحولاتٍ في التراكيب، تلفت انتباه المتلقي بكسر أفق التوقعات لديه.

ظهر لهذا المصطلح مترادفات كثيرة عند علماء الأسلوب من الغربيين والباحثين العرب؛ لا تخرج عن مفهومه العام، وهو خروجٌ عن أصلٍ أو مخالفةُ قاعدة.

ففي التقديم والتأخير حقق العدول أغراضه في سورة الملك، وأفاد من خلال مقاماته المختلفة دلالاتٍ أسهمت في إبراز بلاغة الكلام، وكان من أهم أغراضه الاختصاص والاهتمام بالمتقدم؛ لما لهما من علاقة تمس أحوال النفس، وتناسب مقتضى الحال. والتقديم والتأخير وراء الكثير من بلاغة الأسلوب القرآني وحيويته؛ يزيد في إيضاح المعنى، ويكشف أسراراً جمالية وفنية.

وجاءت الأساليب الخبرية لترفد السورة بالتنوع في الأساليب، ولتكمل بناء هذه السورة وتشد من تلاحمها وتماسكها. وكان أسلوب الاستفهام في السورة أبرزَ الأساليب الإنشائية، بما له من حيوية ودور فاعل داخل النص من حيث هو طاقةٌ دِلاليَّة؛ استطاع أن يعدل عن أصليةِ استعماله إلى استعمالات جديدة مكنت من إكساب التعبير

دلالاتٍ حيَّة أضفت على المعنى أبعاده الجمالية والدِّلاليَّة، وكانت أبرز الأغراض التي انتقل إليها الاستفهام هي الإنكار والتوبيخ والتهديد والوعيد.

وبرز أسلوب الالتفات في السورة بوصفه خاصِّيَّةً تعبيريةً تتميز بطاقتها الإيحائية من حيث كان بناؤه يعتمد على العدول، لإضفاء مزيدٍ من الظلال الرائعة على أساليب السورة المتنوعة، وكان من أبرز أغراضه في السورة الإعراض عن المخاطبين للتقليل من شأنهم والتوبيخ والوعيد.

وأتت معه ظاهرة العدول عن الإضمار إلى الإظهار لتمثل خروجًا عن مقتضى الظاهر لمقصدٍ بلاغي؛ بما للإظهار من قدر كبير من التأثير؛ يظل الاسم الظاهر محتفظًا به، ولا يستطيع الضمير أن يؤدي وظيفة الاسم الظاهر. ولم تبرز الظاهرة المقابلة لها، وهي العدول عن الإظهار إلى الإضمار، ولعل من أسباب ذلك أن سياق هذه الآيات هو إبراز عظمة الخالق، وإحكام صنعه، أو تخويف الكافرين وتهديدهم من خالقهم الذي جعل لهم الأرض ذلولاً، وهيأ لهم الرزق، فقابلوا ذلك بالعتو والنفور. فكان الإظهار أنسب وأبلغ من الإضمار.

ومَثَّلَ أسلوبُ الحذف ظاهرةً بلاغية وأسلوبية بارزة، في تعبيرات السورة، وأسهم في تماسك النص وتلاحمه، وفي تصفية العبارة، وتنشيط الخيال، وإثارة الانتباه، وكان الإيجاز أبرزَ ما تفتق عن صور الحذف.

وانتهى البحث إلى أسلوب القصر الذي تميز بالإيجاز والتوكيد والمبالغة، فمثّلَ ـ بطرقه الأربع التي وردت في السورة ـ عُدولاً عن المستوى الأول للغة. وأسهم في إضفاء البعد الجمالي لتعبيرات السورة. وبذلك اكتملت دائرة العدول في البنية التركيبية في سورة الملك.

والحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

أولاً: الكتب:

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم(تفسير أبي السعود) / محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤ .١٩٩٤.

٢. أسرار البلاغة/عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط١. ١٩٩١.

٣. أسرار البلاغة/ عبد القاهر الجرجاني تحقيق ريتر، دار المسيرة، بيروت، ط٢ . ١٩٧٧.

٤. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية/ د حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨

٥. الأسلوبية والأسلوب/ د. عبد السلام المسدي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط ٤ ،١٩٩٣.

٦. الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم/ د. عبد الله علي الهتاري، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، ط١ . ٢٠٠٨.

٧. الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية/أحمد ويس، مؤسسة مجد الجامعية، بيروت، ط . ٢٠٠٥.

٨. البحر المديد/ أحمد بن محمد الإدريسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.٢٠٠٢

٩. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت . ١٩٧٢.

١٠. البلاغة الاصطلاحية/عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي القاهرة، ط٣ . ١٩٩٢.

١١. البلاغة والأسلوبية، د/محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٤.

١٢. بلاغة الخطاب وعلم النص/ د. صلاح فضل، عالم المعرفة، عدد١٦٤، أغسطس، ١٩٩٢.

١٣. البيان في روائع القرآن/ د. تمام حسان، عالم الكتب، ط٢، ٢٠٠٠.

١٤. تأويل مشكل القرآن / ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢ . ١٩٧٣.

١٥. التحرير والتنوير / ابن عاشور، الدار التونسية، ط ١-١٩٨٠

١٦. تحولات البنية في البلاغة العربية / أسامة البحيري، دار الحضارة، طنطا، ط١. ٢٠٠٠.

١٧. التسهيل لعلوم التنزيل/محمد بن جزي الغرناطي، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ .١٩٩٥.

١٨. التعبير القرآني، /د. فاضل السامرائي، دار عمار، ط ٢. ٢٠٠٢.

١٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢- ١٤١٨.

٢٠. الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة، ط٢ بيروت.

٢١. خصائص التراكيب/ د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤. ١٩٩٦.
٢٢. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/السمين الحلبي، تحقيق علي معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ . ١٩٩٤.
٢٣. دلائل الإعجاز/ عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢٠٠٤.
٢٤. دلائل الإعجاز/ عبد القاهر الجرجاني، تصحيح محمد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت طبعة١، ١٩٨٨.
٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط بدون.
٢٦. شرح كافية ابن الحاجب / رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، تحقيق أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
٢٧. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز/ يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٨٠.
٢٨. عروس الأفراح، شرح التلخيص، دار السعادة، مصر، الطبعة الثانية ،١٣٤٢هـ.
٢٩. علم الأسلوب مبادؤه وإجراءاته/ د. صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط١ . ١٩٩٨.
٣٠. علم المعاني/د. بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، ط٢. ٢٠٠٤.
٣١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/محمد بن علي الشوكاني، تحقيق:عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء . ١٩٩٢.
٣٢. الفروق اللغوية/ أبو هلال العسكري، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١. ٢٠٠٠م.
٣٣. في ظلال القرآن / سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٢٤ . ١٩٩٥.
٣٤. قضايا الشعرية/ رومان جاكوبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، ط١، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب،١٩٨٨.
٣٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل../ جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي . بيروت، لبنان،١٤٠٧هـ
٣٦. اللباب في علوم الكتاب/ أبو حفص عمر بن علي الدمشقي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط . ١٩٩٨
٣٧. لسان العرب/ابن منظور، دار الفكر، دار صادر. بيروت، ط١ . ١٩٩٠.
٣٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/ ابن الأثير، تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠.
٣٩. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها / ابن جني: تحقيق: على النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٩.

٤٠. مفتاح العلوم / أبو يعقوب السكاكي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ـ ٢٠٠٠م.
٤١. معاني النحو/د. فاضل السامرائي، نشر جامعة بغداد، ١٩٩٠.
٤٢. نظرية اللغة في النقد العربي/د. عبد الحكيم راضي، مكتبة الخانجي، مصر. ١٩٨٠.
٤٣. نظرية البنائية في النقد الأدبي /د. صلاح فضل، دار مختار/القاهرة. ١٩٩٢.
٤٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ برهان الدين البقاعي، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية بيروت، ط. ١٩٩٥.

ثانيا: الرسائل العلمية:

١. الحذف في صحيح البخاري/ محمد حسين الموسوي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء/ كلية اللغات، ٢٠٠٦.
٢. ظاهرة العدول في البلاغة العربية مقاربة أسلوبية/عبد الحفيظ مراح، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦.
٣. مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال ومواقعها في القرآن الكريم / ظافر العمري، رسالة دكتوراه غير منشورة: جامعة أم القرى،٢٠٠٤م.

* * * * * * * * * * * * *